

ملاحم التفكير البلاغي عند ابن الأثير من خلال المثل السائر

دراسة بلاغية للآليات البلاغية

أ/ زينب دواوي

- جامعة باتنة -

المقدمة :

إن الداعي التراثي يدعونا للعودة بمحبة و صدق انتماء حضاري إلى آفاق العصر المملوكي فنقرأ بتؤدة صفحاته و آثاره التي شمخت، فتصدت كبريات المكتبات، والشاهد الناطق بالحق هي تلك الموسوعات الأدبية واللغوية والفقهية التي حفظت الكثير من المعارف التراثية وهي مرجع لكل باحث يرغب عن الاستزادة من كنوز هذا العصر الذي أجاد فيه مبدعوه بما يسر لهم، وخير دليل على خصوصية هذه الفترة أنها أنجبت أمثال المؤلف المتفرد، والبلاغي المتميز، والأديب المتذوق، ابن الأثير الذي سنبرز في بحثنا هذا ملاحم تفكيره البلاغي من خلال كتابه المثل السائر الذي يمكن أن يقرأ من وجهات أدبية و لغوية متنوعة، إلا أن مدار الدراسة تتمحور حول الجانب البلاغي بمرجعياته المعرفية و آلياته الإبلاغية التي أوتيها ابن الأثير كبلاغي وقبل أن أبرز بشيء من التفصيل العناصر البلاغية الهامة في المثل السائر والتجارب التي يستحق التنويه به، أتطرق بداية إلى التعريف به وكذا بمؤلفه موضوع الدراسة:

التعريف بضيء الدين بن الأثير (558 هـ - 637 هـ) :

هو نصر الله بن أثير الدين محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ولد في جزيرة ابن عمر شمالي الموصل، و كني بأبي الفتح و لقب بضيء الدين، و اشتهر "بابن الأثير" الجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر، و له أخوان يكبرانه هما : المبارك بن الأثير و كان محدثاً فقيهاً ، ولقبه مجد الدين و علي بن الأثير و كان مؤرخاً ، و اشتهر بلقب عز الدين، وهو صاحب " أسد الغابة في معرفة الصحابة"، و "الكامل" في التاريخ ، أما أبوه محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني فلقب بأثير الدين، و عرف بأمانته ورجاحة عقله و بره بالناس و عهد إليه بولاية الجزيرة، فنشأ ابن الأثير في أسرة عربية شيبانية ثرية ذات مكانة لدى الأتابكة، وكان لهذه النشأة أثر في اعتداده بنفسه، و تفرغة للعلم، و تفتح موهبته الأدبية وطموحه إلى المكانة السياسية، و الثابت أنه تزوج في الموصل، وعاش فيها نحو عشرين سنة قبل أن ينتقل إلى الشام و يتصل بالقاضي الفاضل الذي ألحقه بخدمة صلاح الدين الأيوبي و عمره تسع و عشرون سنة، وارتبطت حياة ابن الأثير بعد ذلك بالملك "الأفضل" ابن صلاح الدين حيث تولى لديه الوزارة، ولما أخذت "دمشق" من الملك الأفضل انتقل إلى "صرخد" ثم منها إلى "مصر"، و بعدها استقر ضياء الدين في الموصل في السنوات العشرين من حياته

و انصرف للتدريس، و التأليف⁽¹⁾، و قد قال ابن خلكان: "لقد ترددت إلى الموصل من "إربل" أكثر من مرار و ابن الأثير مقيم بها، ثم فارقت بلاد المشرق و انتقلت إلى الشام ثم انتقلت إلى الديار المصرية، و ابن الأثير قيد الحياة، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته و أنا بالقاهرة"⁽²⁾

ولقد ترك ابن الأثير مؤلفات عدة ككتابه المسمى "المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر"، و كتاب "المرقوم في حل المنظوم" وهو في غاية الحسن والإفادة و له كتاب "المعاني المختصرة في صناعة الإنشاء"، و إن الأساس التي اشتهر بها ابن الأثير هي تفننه في صناعة الكتابة، حيث "مارس الكتابة و سر غورها و غاص في أعماقها و وصل إلى كنوزها البكر التي لم يخترعها قبله أحد و هي أيضا لم تكشف سرها إلا له فانتقى من كنوزها بل جواهرها ما أراد"⁽³⁾ فابن الأثير هو أول من دخل عالم فن الكتابة في عصره، فأسس القواعد و صحح أخطاء من

مصادر ثقافته :

أغفلت كتب التراجم أسماء الشيوخ الذين درس لديهم ضياء الدين، و تشير مؤلفات ابن الأثير أنه حرص على التنوع و الشمول فلم تكن قراءته مقصورة على علوم اللغة وحدها، بل شملت كتب النقد و الحديث و الفقه و اصطلاح الأدب و التفسير، إضافة إلى القرآن الكريم، و قد أوتي ملكة الحفظ "فحصل العلوم، وحفظ كتاب الله لا يبرأه، وكثيرا من الأحاديث النبوية، وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان وشيئا من الأشعار"⁽⁴⁾ و هو تبعاً لهذا أمين لمفهوم ثقافة الكاتب الموسوعية، راغب في أن يجسد هذا المفهوم ليتمكن من الخوض في الفنون الأدبية ككتاب حرص ابن الأثير أن يستمد ثقافته من مصادر متنوعة، تكاد تشمل ما كان سائدا في عصره، و إذا ألقينا الضوء أيضا⁽⁵⁾ مرجعياته المعرفية في إطار البلاغة و النقد وجدناه يأخذ اقتباسات من أبرز الكتب البلاغية و النقدية في عصره كالموازنة للآمدي، و "الوساطة" للقاضي الجرجاني و "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر و "أسرار البلاغة" لعبد المحجب أن الجرجاني وغيرهم ...

و هذه الاقتباسات تدل دلالة واضحة على أنه أنعم النظر في الكتب التي قرأها، فهو يناقشها مناقشة⁽³⁾ بأسرارها، العارف بمواطن الجودة و الرداءة فيها القادر على استحضارها و توظيفها و المقارنة بينها، كما أن الاقتباسات أوضحت تأثيره ببعض المصادر أكثر من كلها كسر الفصاحة لابن سنان، و الموازنة للآمدي، و المتنبي و أبي تمام و البحتري .

وأهم مصادر ثقافته القرآن الكريم، فهو عنده "معدن الفصاحة والبلاغة"، و كما أنه آلة وأداة في استعمال الكلام، و أيد محفوزه بالأحاديث النبوية قائلا: "و كنت قد جردت من الأصهار النبوية كتابا يشتمل على

(1). ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار لبنان، ج 5، ص 396.

(2). المصدر نفسه، ص 391.

(3). عبد الواحد حسن الشيخ، صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الأثير، مكتبة الإشعاع، للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط 1/ 1999.

(4). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص 25.

آلاف خبر ، كلها تدخل في الاستعمال ، ومازلت أراظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، وصار محفوظا لا يشذ عني منه شيء ⁽⁵⁾ وتجرد للأشعار

قديمها وحديثها فحفظ منها مالا يحصى كثرة ، كما يبدو من خلال المثل السائر أن ابن الأثير كان مطلعاً على الثقافة الأجنبية ، كالبيونانية فذكر أقوال : أبوفراط و أفلاطون كما اطلع على الثقافة الفارسية والسريانية في معرض حديثه عن الألوان البيانية.

وإن ثقافة ابن الأثير وموهبته وكذا مرجعياته المعرفية ، جعلته يخوض في مختلف المجالات الأدبية كالشعر والأدب والنقد والبلاغة .

التعريف بكتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر :

يعد كتاب المثل السائر لضياء الدين بن الأثير من أهم أمهات الكتب التي ينبغي لدارس اللغة و الأدب الاطلاع عليه، لأنه كتاب يشمل آراء ابن الأثير البلاغية و النقدية و كذا تطلعاته الأدبية الفنية، حيث تضمن الكتاب نقدا للعديد من شعراء عصره أمثال : المتنبي و أبي تمام، البحري ... و هو كتاب بلاغة، قدم فيه آليات البيان و مصطلحات البلاغة العربية و أحكم شرح ما تعلق بها من أجناس و فنون، و هو كتاب أدب لأنه أسس لعلم الأدب بإبراده الآليات و الفنون و القوانين الخاصة بفن الكتابة سواء ما تعلق بالمنظوم أو المنثور، و قد تعددت موضوعاته وهذا ما أكد به بدوي طبانة في مقدمة المثل السائر قائلا: "عرف كتاب المثل السائر في بيئات الثقافة العربية على أنه كتاب أدب و عرف كذلك على أنه كتاب في أصول البلاغة العربية أحيانا، وعلى أنه كتاب في النقد الأدبي أيضا" ⁽⁶⁾.

و الكتاب يضم مقدمة و مقالاتين، تدور المقدمة حول البيان و أدواته و آلياته، و حول الشاعر و الكاتب و ما يجب أن يتحلى به، وهي عشرة فصول

2- في آلات علم البيان و أدواته

4- في الترجيح بين المعاني

6- في الحكمة التي هي ضالة المؤمن

8- في الفصاحة و البلاغة

10- في الطريق إلى تعلم الكتابة

1- في موضوع علم البيان

3- في الحكم على المعاني

5- في جوامع الكلم

7- في الحقيقة و المجاز

9- في أركان الكتابة

أما المقالتان فالأولى منهما في الصناعة اللفظية، كدراسة الألفاظ و السجع و التحنيس ...،

أما الثانية فهي في الصناعة المعنوية كالاستعارة و التشبيه و الكناية و الالتفات ...،

فما هي الموضوعات البلاغية التي تناولها ابن الأثير في كتابه "المثل السائر" و كان لها الملمح الرئيس لتفكيره البلاغي المميز له؟

(5) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار تحفة مصر، القاهرة، ج 1، ص 150.

(6) ابن الأثير، المثل السائر، ج 1، ص 20.

فحين تطرق ابن الأثير إلى موضوع "علم البيان" قال: "فموضوع علم البيان هو الفصاحة و البلاغة، و صاحبها يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية"⁽⁷⁾ ثم ربط بين البيان و النحو فقال: " و هو (أي صاحب البيان) و النحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، و تلك دلالة عامة، و صاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة و هي دلالة خاصة، و المراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن"⁽⁸⁾، و هو بهذا يخالف النظرية المتفردة لعبد القاهر الجرجاني في النظم، و أنه مدار الإعجاز القرآني، و إن توخي معاني النحو أهم ما يميز الجملة العربية، بل يخص ابن الأثير آلات البيان المحسنة للكلام بالأهمية، و هذا ما يعطي للبيان دوره في الخصوصية المطلوبة في العمل الأدبي.

ويرى ابن الأثير أن المعول عليه في تأليف الكلام من المنشور و المنظوم إنما هو حسنه و طلاوته، فإذا ذهب ذلك فليس بشيء، كما أن "الإطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم و المنشور فيه فوائد جمة، لأنه يعلم منه أغراض الناس و نتائج أفكارهم و يعرف بها مقصد كل فريق"⁽⁹⁾

و لأن تأليف الكلام نظماً أو نثراً يقتضي استخدام اللغة لكونها المادة الخام لأي تأليف، و إن أدبية هذا الكلام تقتضي أيضاً تعاملًا خاصاً مع اللغة لذلك كانت العناية بالأساليب البلاغية و طريقة تأليف الألفاظ باللغة التأثير النقدي التراثي بعامة و في نقد ابن الأثير بخاصة، فهو على وعي أن البلاغة من آليات الخطاب الأدبي التي لا يمكن الاستغناء عنها و ليست مجرد حلية يؤتى بها لتتقح الكلام و تزيينه من باب الترف اللغوي، بل إنها الركن الأساسي الذي يشكل بنيته، و العمدة التي تمنحه أدبيته، لذلك ذهب جون كوهن إلى أن الصور البلاغية ليست مجرد زخارف زائدة بل إنها جوهر الفن الشعري نفسه⁽¹⁰⁾، و قد تنبه ابن الأثير إلى أن هذه الأسرار البلاغية لا يتنبه لها إلا العارفين بها، "وإنما تكون نفاسة الأشياء لعزة حصولها ومشقة وصولها... ومارست الكتابة ممارسة كشفت لي أسرارها وأظفرتني بكنوز جواهرها، فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حل آيات القرآن والأخبار النبوية، وجل الأيدى الشعرية"⁽¹¹⁾ لذلك لم يكتف برسم الحدود و ضبط التعاريف و حصر الأقسام بل جمع كل ما استطاع جمعه معالجها التي اهتدى إليها الذين سبقوه .

ومن القضايا البلاغية التي شغلت ابن الأثير و أولاهها الاهتمام البالغ ثنائية البلاغة و الفصاحة وفي منظور هي مدار علم البيان ومنتهاه و هي القضية التي شغلت الفكر النقدي العربي منذ أيام الجاحظ، و كانت معقل دراساته خصبة في المجال النقدي، لهذا لا بد من التساؤل عن تحديد ابن الأثير لمصطلحي البلاغة و الفصاحة كيف تم ضبطها و هل فيه ما يكشف عن جهد و حضور و محاولة للتأسيس و التأصيل أم أن المسألة لا تعدوا كونها مجرد نقل للنص

(7) المصدر نفسه، ج1، ص 37.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص 37.

(9) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج1، ص 59.

(10) جون كوهن، النظرية الشعرية، بناء لغة الشعر، اللغة السامية، ترجمة أحمد درويش، دار غريب للطباعة للطباعة والتوزيع، القاهرة/2000، ص 46.

(11) ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص 101 ..

و بعث آراء نقدية سابقة تفكر إلى النظر و الملاحظة، لذلك سأعرض فيما يلي أهم الآليات الإبلابية التي اعتمدها ابن الأثير كبلاغي يؤسس لمن الكتابة، و هي كالآتي :

– الألفاظ و دلالتها على المعاني

لا ينفي ابن الأثير ارتباط فصاحة الكلمة بظهور معانيها، و لكنه إرباط من زاوية مختلفة عن فهم أبي هلال العسكري و هو ما يظهر في قوله : "إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين، و أعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة و أن تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم و الشعر، دائرة في كلامهم وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام لمكان حسنها" (12) و حسب تصور ابن الأثير فإن العرب كانت دائماً و أبداً تهتم بالمعاني و أن الاهتمام باللفظ إنما يدل على تقدير للمعنى، إذ هو محاولة لإبرازه في أحسن صورة . (13)

و هو ما يتجلى في قول ابن الأثير: "اعلم أن العرب كما كانت تعني بالألفاظ فتصلحها و تذهبها فإن المعاني أقوى عندها و أكرم عليها، و أشرف قدراً في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بألفاظها لأنها لما كانت عنوان معانيها و طريقها إلى اظهار أغراضها أصلحوها و زينوها و بالغوا في تحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في النفس، و أذهب لها في الدلالة على القصد" (14) و يضيف مؤكداً أن العرب "قد أصلحوا ألفاظهم، و حسنوها و رققوا حواشيها، و صقلوا أطرافها، فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ فقط، بل هي خدمة منهم للمعاني" (15)

فالألفاظ تساهم في جلب المتلقي و لفت انتباهه لذلك على المخاطب أن يختار المأثرة منها و الأكثر دلالة إذ أن " للكلمة خصائص في ذاتها تستمدتها من اللغة و من التداول تجعلها مؤهلة بطبيعتها لتكون ذات صبغة حجاجية و ترشحها لأن تكون من معجم الخطاب الحجاجي و قوام جداوله اللغوية و إن لها في الخطاب بناء على تلك الخصائص حركة تقصي فيها غيرها و تعوضه و تحل محله ليكون الخطاب أوغل في الحجاج و أذهب في الإقناع" (16) و قد لفت ابن الأثير إلى مسائل هامة فيما يتعلق بالألفاظ من حيث أمور عدة منها:

– التفاضل بين الألفاظ المفردة يتحقق بالتركيب :

إذ ينوه ابن الأثير أن التمايز بين الألفاظ المفردة يتجلى في التركيب بقوله "اعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها لأن التركيب أعسر و أشق، ألا ترى أن ألفاظ القرآن من حيث انفرادها قد استعملها العرب، و مع ذلك يفوق القرآن الكريم جميع كلامهم و يعلو عليهم و ليس ذلك إلا لفضيلة التركيب، إذ

(12) . ابن الأثير، النثر السائر، ج 1، ص 91.

(13) . عمر عبد الحادي عتيق، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2012، ص 51.

(14) . ابن الأثير، النثر السائر، ج 2، ص 52-53.

(15) . المصدر نفسه، ج 2، ص 53.

(16) . عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، جامعة فزيرة، تونس، ج 1، 2001، ص 75.

و صاحبه
و النحوي
و صاحب
الحسن ...

نحي معاني
عطي للبيان

ذلك عنه
راض الناس

هذا الكلام
لغة التأثير في

التي لا يمكن
ركن الأساس

بمجرد زخرف
إلا العارفون

لي أسرارها
وجل الأبيات

لما جمعه من

وفي منظوره
عقل دراساته

تم ضبطها
نقل للنصوص

أن الألفاظ "إذا صارت مركبة، فإن لتركيبها حكما آخر، وذلك أنه يحدث عنه من فوائد التأليفات والإمترجات،
للسامع أن هذه الألفاظ ليست تلك التي كانت مفردة" (17)

- ارتباط اللفظ بالجانب السمعي و النطقي :

يربط ابن الأثير اختيار اللفظة المفردة بالجانب السمعي و النطقي، إذ أن للألفاظ في الأذن نغمة لذية
أوتار، و صوتا منكرا كصوت حمار، و أن لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل و مرارة كمرارة الحنظل
على ذلك تجري بحرى النغمات و الطعوم، وأن حسن الألفاظ مدرك بالسمع،... لأن الصوت يأتلف عن
الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح (18)

- حسن انتقاء الألفاظ :

كما ربط ابن الأثير بين اختيار الألفاظ المفردة و اختيار الآلي حيث يرى أن حكم ذلك حكم الآلي
فإنها تتخير و تتقى قبل النظم، و كذا نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن موافق
حكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها، ثم الغرض المقصود من ذلك الكلام
اختلاف أنواعه، و حكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل إكليلا على الرأس و تارة
قلادة في العنق،... و لكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه.

ومن ثم فإن انتقاء الألفاظ من أهم العناصر التي تساعد الكاتب على الإبداع في الكتابة من جهة و في
المتلقي من جهة أخرى، و قد وظف ابن الأثير الشواهد القرآنية و الشعرية لإثبات وجهة نظره و التدليل عليها.

- علاقة نوع الألفاظ بموضوع الخطاب (من حيث الرقة و الجزالة)

كما يربط ابن الأثير بين استعمال الألفاظ وموضوع الخطاب، وقد مثل لذلك بالألفاظ الجزلة و الرقيقة
قال: "الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة و رقيقة، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل
وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد و التخويف، و أشباه ذلك، وأما الرقيق فإنه يستعمل في وصف
وذكر أيام البعاد و في استحلاب المودات و ملاينات الإستعطاف و أشباه ذلك" (19)

وقد بين ابن الأثير كيف أن لهذه الألفاظ مساهمة فعالة في هز إحساس القارئ و شعوره نظرا لقوة معانيها و
صوتها، ومن ذلك قوله تعالى: "ولقد جتتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم
ظهوركم، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما
تزعمون" (20)

(17) . ابن الأثير، المثل السائر، ج 1، ص 209.

(18) . المصدر نفسه، ج 1، ص 92.

(19) . ابن الأثير، المثل السائر، ج 1، ص 185.

(20) . سورة الانعام، الآية 94.

فالقارئ لهذه الآية يحس بالخوف والرغبة ويتمثل يوم الحساب في وجل فلا شغيع له مما كسب في دنياه إلا عمله وما يقوي هذا الإحساس جزالة هذه الألفاظ القرآنية: فرادى، حولناكم، شفعاءكم، شركاء، لقطع بكم، ترعدون... وهي ألفاظ تتغلغل إلى النفس فتجعل المتلقي المتدبر وكأنه يعيش تلك اللحظات الرهيبة وهي ماثلة أمامه، مما يدفعه إلى الامتثال والإذعان، والعاقبة للمتقين.

أما عن الألفاظ الرقيقة فقد اختار ابن الأثير قوله: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي

وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون" (21)

فالألفاظ العذبة الرقيقة المعبرة عن هذه العلاقة الحميمة بين العبد وربّه عبر عنها عز وجل بالألفاظ فيها رحمة وحنو: قريب، أجيب الداعي، فليستجيبوا، وليؤمنوا، لعلمهم، يرشدون... وهذا مما يعطينا شعوراً بالقرب والمودة والمحبة الخالصة

ويظهر الدور الإقناعي للألفاظ الجزلة والرقيقة في قول ابن الأثير: "وبعد هذا فاعلم أن الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة وقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج، ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبو خيولهم... وترى ألفاظ البحري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات..." (22)

ويعني هذا أن شدة تأثير المتلقي بمعاني تلك الألفاظ تجعله وكأنه يرى هؤلاء الأشخاص ويعيش معهم، فالألفاظ الجزلة الرقيقة تسهم إذن في تجسيد الفكرة وحضورها في ذهن المتلقي مما يؤدي حتماً إلى التسليم والإقناع مع ما للجزالة من قوة وما للركة من تأثير.

- الصور البيانية:

وقد ذكرها ابن الأثير في المقالة الثانية المعنوية "في الصناعة المعنوية"، وهذه الصور دور كبير في التأثير على المتلقي وتوجيهه نحو الوجهة التي يريد المتكلم وبالأخص المبدع، ومن أهم تلك الألوان البيانية البلاغية التي احتفى بها ابن الأثير: التشبيه والاستعارة والكناية والإلتفات والتجنيس والتكرار والإطناب... وسنعرض بعض تلك الآليات الإبداعية التي بسط الشرح فيها ابن الأثير وأصاب إلى حد كبير في إبراز دورها الأسلوبية في إضفاء الجماليات على النصوص، وكذا كونها وسيلة حجاجية بديعة لكل أديب يرنو الإقناع والتفنن في المحاجة.

- التشبيه:

حين تناول ابن الأثير التشبيه في المثل السائر فإن أول ما أشار إليه هو تفريق علماء البيان بين التشبيه والتشثيل إذ أنه على رأي مخالف، حيث قال: "وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتشثيل، وجعلوا لهذا باباً مفرداً، ولهذا

(21). سورة البقرة، الآية 186.

(22). ابن الأثير، المثل السائر، ج 1، ص 195.

بابا مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال (23)

كما قسم التشبيه إلى: تشبيه مظهر وتشبيه مضمرة الأداة، وفي رأيه أن التشبيه الأداة هو الأقوى من المظهر من جهة غير أن أهم ملاحظته في دراسة ابن الأثير للتشبيه هو التركيز على إبراز دوره الحجاجي حيث يقول: فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فلانما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة الشيء أو بمعناه، وذلك أوكد في طرق الترغيب فيه أو التنفير منه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن كان ذلك مثبنا في النفس عيالا فيبها يدعو إلى التنفير عنها وهذا لا نزاع فيه (24) فالتشبيه إذن عند ابن الأثير إقناعية إبلاغية تحمل الصورة أو تنفر منها وهذا وفق الأدوات التي يوظفها المبدع فيحسن الإبلاغ.

وقسم ابن الأثير التشبيه تقسيمات عدة وباعتبارات مختلفة، فمرة باعتبار المعنى والصورة وأخرى باعتبار التركيب وقد كان في تقسيماته مبدعا، خاصة مع حسن اختيار الشواهد الموحية والموافقة للمعاني والتقسيم

— الاستعارة:

في قراءة ابن الأثير للاستعارة، يتفرد ابن الأثير بتعريفه المميز لها، فلأول مرة يتحدث رجل بلاغة في البلاغي عن سبب تسمية الاستعارة بهذا الاسم (25) إذ يعرفها بقوله: "وإنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الأشياء من الأشياء ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحده الآخر شيئا إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار على استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة اللغتين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر وهذا الحد البلاغي المتفرد عند ابن الأثير نلمس فيه طريقته الجديدة في الإبلاغ، ومنهجته في إيصال الخالق تعليمي ميسر وفني في الوقت ذاته مما يؤكد الآلية الإبلاغية في بلاغة ابن الأثير، وهنا حرص على التلازم بين المنقول والمنقول له، والمشاركة المعنوية بين المستعار والمستعار له.

وهذا اللون البلاغي له من القوة الإبلاغية بقدر ما أوتيه المبدع من أدوات فنية "ثم إن العارية لا تفقد أصلها صاحبها الأصلي بمجرد انتقالها إلى شخص ثان، بل إنها تظل ملكه وخاصيته المميزة له، وما انتقالها إلى الثاني سبيل الإهارة، وهذا التصور وارد في الاستعارة التي يحافظ فيها المعنى على انتسابه إلى الطرف الأصلي (28) انتقاله إلى طرف آخر... وقد قصر أكثر القدماء هذه العلاقة على المشابهة (27)

(23) المصدر نفسه، ج 2، ص 93.

(24) المصدر نفسه، ج 2، ص 99.

(25) أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، منشأة المعارف الإسكندرية، 1988، ص 1988.

(26) ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 86-63.

(27) عبد الإله سليم، بنات المشابهة في اللغة العربية، (مقاربة معرفية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 2001، ص 59.

(28) عبد الإله سليم، بنات المشابهة في اللغة العربية، (مقاربة معرفية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1، 2001، ص 59.

معرفة أن الموت نهاية لا بد منها، و لكنها في الوقت نفسه بداية حياة أزلية بخلود في النار أو خلود في الجنة ذلك هو المرجح.

كما لم يفت ابن الأثير بعد ذلك أن يتحدث عن الاستعارة بين الوضوح والإغراب، و لعله و قد بين في هذا الصدد سابقين عليه، هما اتجاه الآمدي الذي يرى أن جمال الاستعارة في الوضوح و القرب، و اتجاه الطريقة العربية، و اتفاقها مع الذوق العربي، واتجاه عبد القاهر الذي رأى جمالها في الإغراب و الغموض و (36) و يبدو توفيقه بين الاتجاهين عندما رأى أن في القرب والوضوح جمالا كما أن في البعد و الغموض الجمال المتوسط بين الحالتين أعدل، والمعول عليه بعد هذا على الذوق.

ومن ثم يتبين لنا من دراسة ابن الأثير لموضوع الاستعارة مدى استفادته من كلام من سبقوه، و يملو عناية بتنظيم و تبويب مبحثه وفق منهج سليم، يعرض فيه المقدمة، و يردفها بالتفاصيل، و قد استطاع أن يوضح ضرورة وجود صلة بين المستعار منه و المستعار له في إطار حديثه عن السبب في تسمية الاستعارة بهذا الاسم الأثير قد اعتمد في درسه البلاغي على ذوقه الأدبي، و هو يرى أن مدار علم البيان على المتمكن من آليات المنظوم و المثور، و هذا ما يرشحه لينضم إلى رجال المدرسة الأدبية في مباحث البلاغة و يؤكد هذا قوله في المثل السائر: "و اعلم أيها الناظر في كتابي أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أرفع من التعليم" (37)

الكناية و التعريض:

إن للكناية دورها الإبلاغي كآلية بلاغية فهي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه و إقناع كما قال الزركشي: "وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع اللغة، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه و رديفه في الوجود فيوميء به إليه، و يجعله دليلا عليه، فيدل على المراد طريق أولى" (38)

و قد تناول ابن الأثير "الكناية" في المثل السائر و وجد أن الكثير من علماء البيان لا يفرقون بينها و التعريض، و ذلك نظرا لتشابههما الكبير، و من أجل ذلك وضع حدودا بين المصطلحين، فأعطى لكل واحد مفهوم خاص به، فالكناية عندهم هي: "كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة و المجاز و جامع بين الحقيقة و المجاز، و الدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء و تريد غيره، يقال بكذا عن كذا، فهي تدل على ما تكلمت به و على ما أردته في غيره، و قيل هي اللفظ الدال على الشيء، على الوضع الحقيقي، بوصف جامع بين الكناية و المكنى عنه" (39)، فالكناية كما يعرفها علماء البلاغة كتعريف جامع و معتمدا ضمن الدرس البلاغي أنها: "لفظ أطلق و أريد به لازم معناه"، فالكناية إذن تتضمن معنيين: المعنى الأول

(36). أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة، ص 99.

(37). ابن الأثير، المثل السائر، ج 1، ص 20.

(38).

بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج 2، ص 301.

(39). ابن الأثير، المثل السائر، ج 3، ص 50.

غير المطلوب، و المعنى الثاني و هو المقصود، و مثال ذلك قولنا : "كثير رماذ القدر" فنحن لا نريد كثرة الرماذ في حد ذاتها و إنما ما يوميء بها إلى من يتصف بالكرم و كلاله له برفقه كثرة الطبخ للضيوف، أما التعريض فيعرفه ابن الأثير، بقوله : "هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي و المجازي فإنك إذا قلت لمن تتوقع ... و معروفه بغير الطلب : و الله إني لمحتاج، و ليس في يدي شيء، ... فإن هذا و أشباهه تعريض بالطلب، و ليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لا حقيقة و لا مجازا، و إنما دل عليه من طريق المفهوم" (40)، و هذا معناه أن التعريض يفهم من سياق الكلام فهم لا يشير مباشرة إلى مراد، و إنما يلحح إليه و بهذا نجد أن مصطلح عند ...، و لقد أقر هذا الأخير بالدور الإقناعي و الحجاجي للتلميح، و ذلك في قوله : "و التلميح له تقريبا دائما دورا حجاجيا، لأنه عنصر الربط و الاتحاد بين المخاطب و الجمهور" (41).

كما فرق ابن الأثير التعريض و الكناية، و قام بعض الخصائص لكل واحد منهما، و ذلك نجما لليس، حيث قال : "و التعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، و دلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي و المجازي، و إنما سمي التعريض تعريضا، لأن المعنى فيه يفهم من عرضه و عرض كل شيء جانبا، و اعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد و المركب معا، فتأتي على هذا تارة و على هذا أخرى، و أما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب و لا يأتي في اللفظة المفردة البتة،

و الدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة و لا من جهة المجاز و إنما يفهم من جهة التلويح و الإشارة" (42).

ومن أجل فهم هذه الأفكار البلاغية في الفرق بين الكناية و التعريض، أورد ابن الأثير بعض الأمثلة لكلا الحسنيين، و مثال ذلك قوله تعالى : "و أورثكم أرضهم و ديارهم، و أموالهم و أرضا لم تطووها، و كان الله على كل شيء قليلا" (43).

حيث أن الله سبحانه قال : "أرضاً لم تطووها، و هو في الحقيقة قصده هو نساء لم تطووها بمعنى لم تنكحوها، فهنا كناية عن مناكح النساء لأن النساء هن اللاتي ينكحن و ليست الأرض، و أما من أمثلة التعريض التي ساقها ابن الأثير من القرآن الكريم قوله تعالى : "فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا، و ما نراك أتبعك إلا الذين هم أراد لنا بادي الرأي، و ما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين" (44).

وفي هذه الآية تعريض من الكفار بنوح عليه السلام و هو ناشئ من جحودهم و حقدهم على النبوة و حسدهم لنوح بقولهم : "ما نراك إلا بشرا مثلنا"، قد ذكر ابن الأثير في "المثل السائر" في شرحه لهذا التعريض "فقولهم ما نراك إلا

(43) المصدر نفسه، ج 3، ص 56.

(44) Perlman et tyteca, traite de l'argumentation, la nouvelle retorique, préface de michel meyer,

5 eme edition, l'université bruxelles, op.cit p 22.

(45) ابن الأثير، المثل السائر، ج 3، ص 57.

(46) سورة الأحزاب، الآية 27

(47) سورة هود، الآية 27

بشرنا بغيرهم بأهم أسبق منه بالسيرة، و أنه الله أو الرزق أن يبعثوا في السجود من البشر، فبعثوا فيهم، فبعث الله فيهم
من الملائكة و حوار لهم في الزمان، فما جعلت أسبق منهم، فما لا ترى إلى قولهم: "و لا ترى لكم عقاباً من عقاب الله"
فهذه الآيات الإلهامية كقوله: بالآية: "و النسيئة و الاستعارة و الكناية" فبعضها إلى آيات القرآن و بعضها
و ذلك لأنها تستعمل الاستعارة المأخوذة من العمل الإلهامية سواء ما حمله منها آيات، بدأت أو استعملت
شريطة: أو أفعال أو كلام العرب من مثل أو حكمة و قد عر عبد القاهر الجرجاني عن الوظيفة الإلهامية
الأجسام البيانية الثلاث فقال: "أعلم أن سبيلك أولاً أن تعلم أن ليست الرؤية التي تتبناها هذه الأسطر (التي)
والاستعارة والكناية" على الكلام المتروك على ظاهره، والمبالغة التي تدعى لها في نفس المعاني التي قصد التكميل
بغيره، ولكنها في طريق إنبائه لها وتقريره إليها" (45)

و يقر ابن الأثير في بحثه عن آلات علم البيان و أدواته على أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم و النثر
إلى آلات عدة إلا أنها لا تغني شيئاً في غياب الطبع الذي هو كمثل النور الكامنة في الزناد و الحقيقة التي يطلع عليها
تري أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تعيد تلك الحقيقة شيئاً (46)

فالتطبع، و التحكم في آلات البيان عند ابن الأثير مما يصح قولاً صحيحاً و قبحاً و سليماً
فالذوق السليم = الطبع + آلات البيان

و هذا ما يعرف في الدراسات النقدية الحديثة بمفهوم الألية و التي مضافه أن "النس الجيد هو ذلك الذي كان
نتيجة التفاعل

بين الطبيعة و الصناعة، بين عفو البديهة و كد الروية" (47)

الالتفات :

تناول ابن الأثير الالتفات في النثر السائر من ناحية أنه علاقة علم البيان التي حوّلها وملتصقاً بالبيان
البلاغة، وعنهما يعنن و حقيقته مأخوذة من التفتات الانسداد عن بحته و شأله، فهو يقلل بوجهه تارة كذلك و تارة كان
و كذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه يستعمل فيه من صيغة إلى صيغة كالاعتقال من خطاب حوّل إلى
غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضره، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض (48)
الالتفات من بديع فنون البلاغة، وهو ملمح من ملامح النظرية الأصولية الحديثة وهو على المستوى التي تبرز
الظواهر التي تتحكم في الأساليب بصيغة الحضور الفاعل و المؤثر، وكأن الالتفات يحقق الاستجابة الطبيعية ل
الإنسان إلى التنوع والتجديد في أساليب تعبيره و صيغ كلامه (49)

(45) ابن الأثير، النثر السائر، ج 3، ص 72.

(46) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تقديم وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخوانساري للطباعة والنشر، القاهرة، ط 3، 1413هـ - 1992م، ص 71.

(47) ابن الأثير، النثر السائر، ج 1، ص 380.

(48) توفيق الربدي، مفهوم الألية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات عيون ط 1، الدار البيضاء، 1987، ص 76.

(49) ابن الأثير، النثر السائر، ج 2، ص 135.

(50) مازن موفقي صديق الخيرو، الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني (الالتفات نموذجاً)، مكتبة دار البيان، ط 1، 2010، ص 5.

وحسب رأي ابن الأثير فإن هذه الآلية البلاغية تساعد على التوزيع في الخطاب باستعمال الضمائر والأزمنة، ذلك لتحقيق التفاعل بين المدع والمتلقي، وهذا الاختلاف في الضمائر والأزمنة يضع المستمع وسط الأحداث ويتفاعل معها بدلا من شعوره بالملل من ضمير واحد وزمن واحد.

قسم ابن الأثير الالتفات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، وقال فيه الراجعي: أنه يستعمل للخص في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب، نظرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه⁽⁵¹⁾.

القسم الثاني: في الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي⁽⁵²⁾.

و القسم الأول اختص بالالتفات الضمائري، بينما اختص القسم الثاني والثالث بالالتفات الزمني.

وقد أورد ابن الأثير أمثلة للالتفات، أكثرها من القرآن الكريم، ومثال ذلك قوله تعالى: "الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين..."⁽⁵³⁾، فهنا انتقل استعمال الضمير من الغيبة في "الحمد لله رب العالمين" إلى الخطاب في قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين"، ومن أمثلة الرجوع من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون، و تقطعوا أمرهم بينهم كل إلها راجعون"⁽⁵⁴⁾ حيث تم الانتقال هنا من الخطاب في قوله: "أمتكم، ربكم" إلى استعمال الغيبة في قوله: "أمرهم بينهم"، "راجعون" باستعمال الضمير "هم" نلاحظ هنا أن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغيبة، صطحب معه تغيرا في الضمائر ولهذا التبدل الموقفي النوعي دور حجاجي إذ "أن هذا التغير في نوع الضمائر مع ثناء الملتفت عنه واحدا لا يتغير، ليس مجرد الافتتان في الكلام وليس هو لنظرية السامع وتحديد نشاطه فحسب، وإنما هو كذلك، وربما أساسا لتوريط هذا السامع والزج به في القضايا التي يتناولها الخطاب ولجعل طرفا فيها معينا" (55).

فالمتلقي حين يغير بالانتقال من غيبة إلى خطاب أو من خطاب إلى غيبة، يشعر وكأنه يشارك في الأحداث ويتفاعل معها و يتنبه أكثر لسياقها.

أما القسم الثاني ومن أهم أمثله الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر:

(51). ابن الأثير، الملل السائر، ج2، ص136.

(52). المصدر نفسه، ج2، ص135، 136.

(53). سورة الفاتحة، الآيات: 2-3-4-5.

(54). سورة الأنبياء، الآية 92-93.

(55). عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، 2001، ص526-527.

و مثال ذلك قوله تعالى : "قالوا يا هود ما جئتنا بينة و ما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، و ما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله و أشهدوا أنني بريء مما تشركون" (56)، فقد انقل الخطاب الالتفافي من المضارع المستقبل "أشهد" إلى فعل الأمر "أشهدوا".

وما نجد في هذا السياق كذلك الرجوع من الفعل الماضي إلى فعل الأمر، مثل قوله تعالى: "قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون" (57) من الفعل الماضي "أمر" إلى فعل الأمر "أقيموا" و "ادعوه"، وسياق الخطاب استدعى هذا الانتقال للتبسيط والالتفات إلى أهمية الصلاة، كما قال ابن الأثير: "وكان تقدير الكلام أمر ربي بالقسط، وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية" (58).

أما ما تعلق بالقسم الثالث من الالتفات بالإخبار عن المستقبل بالماضي، وبالفعل الماضي عن المستقبل، وذلك قوله تعالى: "والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فأحيننا به الأرض بعد موتها، كذلك النشور" (59)، فقد ورد بداية الآية "أرسل" في الزمن الماضي، أما الفعل الثاني فهو: "تثير" بزمن المستقبل، ذلك لأن المستقبل هو الذي يتردد للقارئ تخيل حال الرياح المثيرة للسحاب، وكأنه حاضر أمامها، وقد عبر ابن الأثير عن هذا التفاعل الالتفافي بالإخبار بالماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهد وليس كذلك الفعل الماضي "60" والتخيل يقع كذلك مع الفعل الماضي، إلا أنه مع الفعل المستقبل أوكد وأشد، يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه (61).

فالفعل المستقبل إذن، من أهم الآليات البلاغية والحجاجية التي تسهم في جلب القارئ وإقناعه، أما الإخبار بالماضي عن المستقبل فمثاله قوله تعالى: "ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا شاء الله وكل أتوه داخرين" (62).

فالفعل الأول في الآية مضارع (مستقبل) وهو "ينفخ" أما الفعل الثاني فهو "فرع"، وجاء في الزمن الماضي والغاية من ورود الفعل الثاني بصيغة الماضي هو للدلالة على وجود الفرع وحدوثه فعلا، كما ذكر ذلك ابن

(56). سورة هود، الآية 53-54.

(57). سورة الأعراف، الآية 29.

(58). ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 145.

(59). سورة فاطر، الآية 09.

(60). ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 145.

(61). المصدر نفسه، ج 2، ص 137.

(62). سورة النمل، الآية 87.

هو "مزانة، إنما قال "مزعج" باللفظ الماضي بعد قوله "ينفخ" وهو مستقبل للإشعار بتحقيق المزعج و أنه كان لا بد لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل و كونه مقطوعاً به" (63)

فالفعل المستقبل يقع المتلقي باستحضار الصورة وكأنها مشاهدة، أما الفعل الماضي فهو يقع القارئ على وجود الفعل وتحقق حدوثه.

الإطناب :

إن الإطناب آلية إبلاغية بلاغية ، يستعان بها على تأكيد الكلام وتقوية الحجة والزيادة في حضور المعاني في المتلقي، وقد أوضح ابن الأثير دور الإطناب بلاغياً، حيث قال : " و بعد أن اتعمت النظر في هذا النوع الذي هو إطناب وجدت ضرباً من ضروب التأكيد التي يؤتى بها في الكلام فصلاً للمبالغة " (64)

وقد فرق في هذا السياق بين الإطناب وآليات إبلاغية أخرى كالإطويل و التكرار، فأعطى لكل مصطلح ما يخصه به وبين ذلك بقوله : "الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فهذا حده الذي يميزه عن الإطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، أما التكرير فإنه دلالة على المعنى مردداً، كقولك لمن تستدعيه : أسرع ع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد " (65)

وبهذا فإن الإطناب عند ابن الأثير هو الأكثر فائدة في إيصال المعنى إلى المتلقي، وحقيقة معنى الإطناب عند ابن الأثير هو المبالغة أخذاً له من الأصل اللغوي : من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، ويقال أطنبت الريح، إذا اشتدت في بها، و أطنب في السير إذا اشتد فيه، ومن ثم فإن حد الإطناب عنده هو : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.

وعند ابن الأثير للإطناب ضربا هي :

القسم الأول: الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام، ومثل له بأمثلة عديدة، منه قوله تعالى : "إذ تلقونه يستكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم" (66) : فصرح تعالى في هذه الآية بما أشرت إليه - من تعظيم الأمر المقول وجاء في سياق الاقتراء والإفك، ومن ثم لم الأمر، و لذلك جاء زيادة اللفظ و إن كان المعنى واحداً قصد التأكيد، فذكر تعالى : "تلقونه بأفواهكم"، ثم رولون بأفواهكم" ولا يخفى على المتدبر ما لهذا الإطناب في الجملة الواحدة من تأكيد ودلالة على المعنى المراد.

القسم الثاني: وهو المختص بالجملة ويشمل أربعة أضرب وهي :

1- يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعان متداخلة، إلا أن كل معنى يختص بخصيصه ليست للأخر، ومثال ذلك قول أبي تمام

ويرجى مرجيه ويسأل سائله (67)

زكي سجايه تضيف ضيوفه

ابن الأثير، النثر الصائري، ج2، ص 278.

المصدر نفسه، ج2، ص 281.

المصدر نفسه، ج2، ص 281.

سورة النور، الآية 15

د. يوان أبي تمام - من قصيدة له في رثاء القاسم بن طوق، عن النثر الصائري ج2، ص 286.

فإن غرضه من هذا القول إنما هو ذكر المدح بالكرم وكثرة العطاء، إلا أنه وصفه بصفات متعددة، فمثل ضيوفه تضيف، وراجيه يرجي، وسائله يسأل، وليس هذا تكريرا حسب رأي ابن الأثير.

-والضرب الثاني : ويسمى : النفي والإثبات "وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي، ثم يذكر على سبيل الإثبات بالعكس، ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر وغلا كان تكريرا، والغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود" (68)

ومثل ابن الأثير لهذا الضرب آيات قرآنية، ومنها قوله عز وجل: "وعد الله لا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون" (69)، فقوله تعالى "يعلمون" بعد قوله "يعلمون" من هذا الباب، ألا ترى أن الله تعالى نفى العلم عن الناس بما خفي عنهم من تحقيق وعده، ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا، فكأنهم علموا وما علموا، إذ العلم بظاهر الأمور ليس بعلم، وإنما العلم هو ما كان بالباطن من الأمور" (70)

-والضرب الثالث : وهو أن يذكر المعنى الواحد تاما لا يحتاج إلى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه، ومثال ذلك قول البحري

ذات حسن لو استترادت	***	من الحسن إليه لما أصابت مزيدا
فهي كالشمس بهجة والقضيب	***	اللدن قدا، والريم طرفا وجي

ألا ترى أن الأول كاف في بلوغ الغاية في الحسن، لأنه لما قال: "لو استترادت لما أصابت مزيدا" دخل تحته كل شيء من الأشياء الحسنة، إلا أن للتشبيه مزية أخرى تفيد السامع تصويرا وتخيلا لا يحصل له من الأول، وهذا الضرب من أحسن ما يجيء في باب الإطناب" (71)

-والضرب الرابع : وهو أن يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة، وقد وصفه ابن الأثير بأنه من أصعب الضروب الأربعة طريقا وأضيقها بابا، وقد مثل له بقوله تعالى: "فيه من كل فاكهة زوجان" (72) كجانب إيجازي وإعجازي، ثم قابله بنص له وصف فيه أنواع الثمار والفواكه وهو فصل له من كتاب أنشأه في وصف الجنات المثمرة والرياح المزهرة، وأطلق على وصفه ذاك أنه صورة من صور الإطناب لأنه لم يعر عن فائدة (73) فالأسلوب القرآني الموجز عبر عن التنوع والتعدد في صنوف الفواكه بالبستان بألفاظ قليلة وهي خاصية أسلوبية قرآنية متفردة.

(68). ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 287

(69). سورة الروم، الآيات: 6-7

(70). ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 288.

(71). المصدر نفسه، ص 289.

(72). سورة الرحمن الآية: 52.

(73). ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 291.

لا أن الإطناب في وصف ابن الأثير فيه تأكيد لتعدد الفواكه بذكرها المفصل، وإحصاء أنواع الثمار مما يعطى لإطناب دوره في الإقناع وحسن الإبداع.

- التكرار :

هو آلية إبلاغية ذكرها ابن الأثير بقوله : "حده هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا" (74) وقسمه إلى :

- ما يوجد في اللفظ والمعنى .

- وما يوجد في المعنى دون اللفظ .

ومثال الأول قولنا لمن تستدعيه : أسرع أسرع، ومنه كذلك قول المتنبي :

لمثلي عند مثلهم مقام (75)

...

ولم أر مثل جبراني ومثلي

- أما النوع الثاني فكقولك : "اطعني ولا تعصني"، فإن الأمر بالطاعة لهي عن المعصية.

كما قسم ابن الأثير التكرار إلى مفيد وغير مفيد، وقدم له الأمثلة التوضيحية من القرآن الكريم، ومثال التكرار في اللفظ والمعنى قوله تعالى : "قل إنما أمرت أن أن أعبد الله مخلصاً له الدين، وأمرت لأن أكون أول المسلمين، قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل الله أعبد مخلصاً له ديني، فاعبدوا ما شئتم من دونه" (76)

فتكرر في الآية : "قل إني أمرت ؟ أن أعبد الله مخلصاً له الدين"، وقوله "قل الله أعبد مخلصاً له ديني"، والمراد به غرضان مختلفان، وذلك أن الأول من جهة الله بالعبادة له والإخلاص في دينه، والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه، ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني وأخره في الأول (77)

ومن في اللفظ والمعنى، قوله تعالى : "فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر" (78)، فقد دلت العبارتان على معنى واحد، والغرض منهما واحد وهو دلالة التعجب من تقديره، وهذا كما يقال "قتله الله ما أشجعه أو ما أشعره"، وعليه ورد قول الشاعر :

ألا يا أسلمي ثم أسلمي ثم أسلمي

وهذا مبالغة في الدعاء لها بالسلامة، وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد إثباته، ومثاله كذلك قوله تعالى : "أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى" (79) وهنا التكرير في مثل هذا المقام أبلغ من الإيجاز، وأحسن وأشد وقعاً (80) فالتكرار آلية إبلاغية، وغايته حجاجية، تثبت المعنى في الذهن وتفتح المتلقي بالفكرة المراد توصيلها إليه.

(74) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 3، ص 03.

(75) ديوان المتنبي ج 4، ص 79 من قصيدته في مدح المغيث بن علي العجلي، عن المثل المسائر ج 3، ص 03.

(76) - سورة الزمر، الآيات 11-15.

(77) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 3، ص 5-6.

(78) سورة المدثر الآيات 19-20.

(79) سورة القيامة الآيات 34-35.

(80) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 3، ص 10-11.

-التجنيس:

وقد ذكر ابن الأثير أن هذا الصنف قد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه ، فغربوا وشبهوا وصنف الناس فيه كتباً كثيرة ، وجعلوه أبواباً متعددة ، واختلفوا في ذلك، وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض، ومنهم: عبد الله بن المعتز، وأبو علي الحائمي، والفاضل أبو الحسن، والجرجاني، وقدامة وغيرهم، وإنما سمى هذا النوع من الكلام مجانساً لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد، وحقيقته أن يكون اللفظ واحداً والعين مختلفاً (81)

وقسم ابن الأثير هذا اللون البلاغي كآلية إبلاغية إلى سبعة، كما صنفه إلى تجنيس حقيقي، وإلى ما يسمى التجنيس:

أولاً- التجنيس الحقيقي: فهو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها، والشاهد قوله تعالى: "ويوم تقوم السجود" يقسم المحرمون ما لبثوا غير ساعة" (82)، ومما جاء منه في الشعر قول أبي تمام:

فأصبحت غرر الأيام مشرقة بالنصر تضحك عن أهايك الغرر (83)

"فالغرر" الأولى استعارة من غرر الوجه، و"الغرر" الثانية مأخوذة من غرة الشيء، أكرمه، فاللفظ إنا واحد والعين مختلف.

وقد ساق ابن الأثير أمثلة كثيرة من الشعر عن هذا القسم من التجنيس.

أما ما يشبه التجنيس فله عند ابن الأثير ستة أقسام هي:

- 1- أن تكون الحروف متساوية في تركيبها، مختلفة في وزنها، والشاهد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم كبر حست خلقي حسن خلقي"، ومنه كذلك قول البيهقي:
- وفر الخائن المغرور برحـــــر
- أمانا أي ساعة ما أمـــــر
- بهاب الإلفات وقد تمـــــا
- للمحظة طرفه طرف الســـــا

ففي قول الرسول صلى الله عليه وسلم- كان التجنيس بين الخلق والخلق، أي التساوي كان في التركيب والاختلاف في الوزن، فوزن الأولى: فعل يفتح الفاء، ووزن الثانية فعل يضم الفاء.

وكذا بالنسبة لقول البيهقي الذي وقع فيه التجنيس بين الطرف (العين) والطرف (الحائمي)، فقد ألف اللفظان تركيباً واحداً، وإن وزن الأولى فعل يفتح العين، ووزن الثانية فعل يفتح العين.

(81) ابن الأثير، مثل المسائر، ج 1، ص 262.
(82) سورة الروم، الآية 55.
(83) ابن الأثير، مثل المسائر، ج 1، ص 263.
(84) النصير، ص 268.

أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن، مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير، وإن زاد عن ذلك خرج من باب التحنيس ومما جاء من ذلك قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"⁽⁸⁵⁾ وكذلك قوله عز وجل: "وهم ينهون عنه وينأون عنه"⁽⁸⁶⁾

فكل من اللفظتين في الآية الأولى: ناضرة وناظرة على وزن واحد إلا أنهما اختلفتا في التركيب وفي حرف واحد فقط، والشيء نفسه بالنسبة للآية الثانية والمتضمنة لفظتين متفقتان وزنا، ومختلفتان تركيباً في حرف واحد، ويوافق هذا كذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم - "الخليل معقود بنواصيها الخير"

3- أما القسم الثالث من المشبه بالتحنيس، وهو أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد، كقوله تعالى:

"وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"⁽⁸⁷⁾

4- والقسم الرابع، يسمى بالمعكوس، وهو ضربان: أحدهما عكس الألفاظ، والآخر عكس الحروف، فالأول كقول بعضهم:

"عادات السادات وسادات العادات" وكقول الآخر "شيم الأحرار وأحرار الشيم"⁸⁸، كما مثل ابن الأثير ببعض الشعر، ومن ذلك قول الأضبط بن قريع⁽⁸⁹⁾:

ويأكل المال غير من جمعه

قد يجمع المال غير آكله

ويلبس الثوب غير من قطعه

ويقطع الثوب غير لابسه

ومنه قول المتنبي:

ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله

وقول الآخر:

تطوى وتنشر بينها الأعمار

إن الليالي للأنام مناهل

وطواهن من السرور قصار

فقصارهن من الهموم طويلة

ويرى ابن الأثير أن هذا الضرب من التحنيس له حلاوة، وعليه رونق، وقد سماه قدامة بن جعفر "التبديل"، ويوافق قدامة في هذه التسمية وإعطاء مصطلح التبديل، ويعلل ذلك بقوله: "لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدماً في جزء كلامه الأول مؤخراً في الثاني، وبما كان مؤخراً في الأول مقدماً في الثاني، ومثله قدامة بقول بعضهم: "أشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك"⁽⁹⁰⁾

(85). سورة القيامة، الآيات: 22-23.

(86). سورة الأنعام، الآية: 26.

(87). سورة الكهف الآية 104.

(88). ابن الأثير، المصدر السابق، ج 1، ص 273.

(89). ابن الأثير، المثل السائر، ص 273، 274.

(90). المصدر نفسه، ص 274.

ومن هذا القسم قوله تعالى: "خرج الخبي من البيت وخرج البيت من الخبي" (91)
 وأما عن كسب المروف فهو كقول بعضهم (92)

أعدولة الفال والشمس
 رأيت مقلوبة "يسرك"

أعدت شيئا بقل لولا

"كرسي" فهاضت فيه لا

وهذا الضرب حسب رأي ابن الأثير نادر الإستعمال، لأنه قل ما يقع كلمة تقلب حروفها فيجوز معناه ضوياً
 5- وأما القسم الخامس المشبه بالتجنيس، ويسمى "المخبط" وذلك أن يجمع مؤلف الكلام بين الكلمتين إحدى
 للأخرى والخبيته لها كقول بعضهم:

لشيء من حلى الأشعار عاري
 زلال من ذرا الأحجار عاري

أنا العباس لا تحسب بأن

قلي طبع كسلسال معين

وهذا القسم عند ابن الأثير فيه نظر، لأنه يلزم مالا يلزم أولى منه بالتجنيس، لأنه لم يتفق فيه إلا جزء من اللفظ
 6- وهو ما يساوي وزنه تركيبه، غير أن حروفه تتقدم وتأخر، ومن ذلك قول أبي تمام:

متوكلن جلاء الشك والريب (93)

بيض الصفائح لا سود الصفائح في

فالصفائح والصفائح مما تقدمت حروفه وتأخرت. (94)

(91) . سورة آل عمران، الآية: 22.

(92) . ابن الأثير، المثل السائر، ص 276.

(93) . ديوان أبي تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر فتح عمورية ومطلعها: السيف أصدق أنباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب. مدح أبو

الأثير - المصدر نفسه، ج 1، ص 277

(94) . ابن الأثير، المثل السائر، ص 277.

ومن هذا القسم قوله تعالى: "يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي"⁽⁹¹⁾
 -أما عكس الحروف فهو كقول بعضهم⁽⁹²⁾:

أحدونة الفأل والتبسرك

...

رأيت مقلوبه "بسررك"

...

أهديت شيئاً بقل لولا

"كرسي" تفاعلت فيه لما

وهذا الضرب حسب رأي ابن الأثير نادر الإستعمال، لأنه قل ما يقع كلمة تقلب حروفها فيحيى، معناه عسول
 5- وأما القسم الخامس المشبه بالتحجيس، ويسمى "المجيب"، وذلك أن يجمع مؤلف الكلام بين الكلمتين إحداهما

للأخرى والجنية لها، كقول بعضهم:

لشيء من حلى الأشعل علقوني

...

زلال من ذوا الأحطار جلتوني

...

أبا العباس لا تختب بأبي

فلي طبع كسلسال معين

وهذا القسم عند ابن الأثير فيه نظر، لأنه يلزم مالا يلزم أولى منه بالتحجيس، لأنه لم يتفق فيه إلا جزء من اللفظ
 6- وهو ما يساوي وزنه تركيبه، غير أن حروفه تتقدم وتأخر، ومن ذلك قول أبي تمام:

متوحن حلاء الشك والريب⁽⁹³⁾

...

بيض الصفائح لا سود الصفائح في

فالصفائح والصفائح مما تقدمت حروفه وتأخرت.⁽⁹⁴⁾

(91) . سورة آل عمران، الآية: 22.

(92) . ابن الأثير، المثل السائر، ص 276.

(93) . ديوان أبي تمام من قصيدة مدح فيها المعتصم ويذكر فتح عمورية ومطلعها: السيف أهدى إليهم من الكتب في حيدو الجود بين الغنى والفقير تمام

الأثير -المصدر نفسه، ج 1، ص 277

(94) . ابن الأثير، المثل السائر، ص 277.

- الخاتمة :

إن الدراسات الأدبية و اللغوية التي تناولت العصر المملوكي ،تباينت نظرتها إلى هذا العصر،فمنهم من يصنفه عصرًا مظلوماً مهضوم الحق، ومنهم من يسقطه من تاريخ الأدب جملة وتفصيلاً وينعتونه بأنه عصر انحطاط وانحدار"وقد راحهم ما أصاب العصر من جفاء وهالهم ما ناله من صد،وما رمي به حيناً من أنه عصر ظلمة وتأخر وانحطاط وتقليد مع أنه جليل الخطر عظيم الأثر، ولم تقدم لنا منه الكتب الحديثة إلا صباغة لا تنفع غلة، وإلا ثمالة لا تروي طالب نشوة"⁹⁵، وما بسط ملاحم التفكير البلاغي عند ابن الأثير من خلال المثل السائر في هذا البحث إلا رغبة في إبراز الجوانب المضيئة لهذا العصر ورجالاته وما أسهموا به من جهد أدبي أو لغوي في إعطاء صورة تنويرية تترخر بالمعارف والإبداعات، وإن وقفنا مع ابن الأثير في هذا البحث الذي أرى أنه لا يمكن أن يلقي الضوء على كل جهوده البلاغية وآلياته الإبداعية و كذا مرجعياته المعرفية، وإنما على نزر قليل منه ،و أخلص من خلال ما سبق عرضه إلى النتائج الآتية:

- إقرار ابن الأثير بجمالية اللفظة المفردة وإعطاؤها وظيفتها المنوطة بها في تقويم الخطاب، وذلك بحسن الاختيار للفظ قبل دخولها التركيب والسبك للحكم عليها بالحسن أو القبح، وبهذا يسقط ابن الأثير محور الاختيار على محور التركيب من أجل تحقيق الأسلوب الجمالي المنشود.
- قدم روح المعلم ببسط منهجه التعليمي للراغب في تعلم "فن الكتابة" بأصوله وقواعده التي لا يحيد عنها إلا من لم يستوعب الأبجديات الأثرية الملمة بهذا الفن، وقد وفي بإبرازه وأرشد إلى مناهل الكتابة الصرفة بالاغتراف من القرآن والحديث و الشعر وكلام العرب الخالص بحكمه وأمثاله.
- اهتمامه بالمتلقي كعنصر فاعل في العملية الإبداعية، مع ضرورة أن يتمتع القارئ بثقافة واسعة تمكنه من فهم وتأويل الخطاب الأدبي.
- البلاغة عند ابن الأثير تقوم على الإفهام والتأثير بتوظيف الحجاج للوصول إلى الإقناع، والآليات البلاغية عند ابن الأثير تتنوع وتباين حسب الموقف والمقام، من توظيف للجزالة أو للركة في الألفاظ أو استعمال للالتفات الضمائي أو الفعلي (الماضي أو المستقبل)، أو بالإطناب أو التكرار للتأكيد والمبالغة،... فقد أعطاها دوراً إبداعياً في تأدية المعنى وانسجام الخطاب لبلوغ الغاية التي عندها التأثير.
- الاهتمام البلاغي عند ابن الأثير بالتنظير البديعي الصوتي وماله من دور إيقاعي، خاصة إذا ما علمنا أن هذا العصر المملوكي

تميزه الصنعة البديعية بكل صنوفها، وقد قدم تقسيمات انفراد بتبويبها في التجنيس، والترصيع،...

- نظرة ابن الأثير للأجناس البيانية الثلاثة، تبرز شخصيته النقدية وتنظيره البلاغي المتفرد، فقد اهتم بالتشبيه وعده من المجاز، و أبرز الدور الجمالي للاستعارة في الخطاب الثري ولم يقصرها على الشعر، كما اعتبر الكناية في بعض الشواهد

(95) . أحمد فوزي الهيب، الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986، ص10.

استعارة، ومميز بين الكناية والتعريض، ووظف مصطلحات جديدة في هذا السياق كتناولها والإشارة... كما في
الدور التأثيري الجمالي للمجاز وعده البيان بأجمعه، مستندا في ذلك إلى أن فائدة وضع اللغة هو البيان، والنحو
- وإن تأخر ابن الأثير الزمني، أعطاه ميزة خاصة جعلته يحظى ما قبل في علم البيان، فاختار منه الجانب الذي
الخطب، وزاد على ذلك بما أملاه عليه فكره الوقاد، وثقافته الموسوعية مع اطلاعه على مختلف آداب الفنون
واليونان، وإتقانه لعدد اللغات، فحدد أهدافه الإبداعية بدقة فأحسن تناولها في المثل السائر الذي يعد أرضية خصبة
يرجع إليها الباحثون في البلاغة أو النقد أو الأدب أو في العلوم اللغوية والأدبية الحديثة بمختلف اهتماماتها الشعرية
والنثرية.

تلك هي بعض ملاحم التفكير البلاغي عند ابن الأثير - في كتابه المثل السائر - مرجعيته المعرفية وآليات
الإبلاغية، وقد وضع علم البلاغة والبيان على طبق من ذهب أمام المتلقي معتمدا على حسه التقدي وذائقته الأدبية ولم
يترك شيئا من الصناعة اللفظية أو المعنوية إلا وذكره وشرحه وفسره بدربة متقنة ومتبحر بين المعالم، وإنه بحق ليس
علماء العصر المملوكي الأفذاذ المقتدرين، وبلاغية الذين أسسوا للتراث البلاغي العربي يتمكن كبير.

قائمة المراجع والمصادر:

- 1- أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، منشأة المعارف الإسكندرية، 1988.
- 2- أحمد فوزي الهيب، الحركة الشعرية زمن الممالك في حلب الشهباء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1986، 5.
- 3- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج2.
- 4- جون كوهن، النظرية الشعرية، بناء لغة الشعر، اللغة السامية، ترجمة أحمد درويش، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة/2000.
- 5- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار لبنان، ج5.
- 6- توفيق الزبيدي، مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات عيون، ط1، الدار البيضاء، 1987.
- 7- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 232.
- 8- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ج1 (دط، دت).
- 9- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تقديم وتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3 1413 هـ - 1992 م.
- 10- عبد الواحد حسن الشيخ، صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الأثير، مكتبة الإشعاع، للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1/1999.
- 11- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، 2001.
- 12- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، (مقاربة معرفية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص 59.
- 13- عمر عبد الهادي عتيق، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.
- 14- مازن موفق صديق الخيرو، الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني (الإلتفات نموذجاً)، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، 2010.
- 15- يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي العربي الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1997.

de Peilman et tyteca, traite de l'argumentation, la nouvelle retorique, préface de Michel Meyer, 1^{re} édition, l'université Bruxelles, op, cit p 22.